



قام الرئيس الروسي بوتين بزيارة مفاجئة إلى دمشق، والتقي خلالها بشار الأسد، ليس في قصر الروضة أو الشعب، حيث اعتاد الأخير استقبال ضيوفه، وإنما في مقر قيادة القوات الروسية في دمشق. هذه ليست المرة الأولى التي يهين فيها الرئيس الروسي بوتين نظيره السوري، ففي مرة شهيرة تم تداولها الفيديو عبر منصات التواصل الاجتماعي بكثرة، منع فيها مراقب الرئيس الروسي بوتين بشار الأسد في قاعدة حميميم الأسد من التقدّم لمراقبة بوتين خلال تقديم التحية، ما أثار سخرية السوريين بشكل كبير، كيف يمنع جنديُّ رئيس دولةٍ يفترض به أن يمثلها كون العرض العسكري يتم على أراضيها.

يرى صاحب هذه السطور أن الرئيس بوتين يقوم عمداً بهذه الإشارات، ليس من باب الاستهزاء أو عدم الاحترام فقط، وإنما، في جزء منها، لتوجيه رسائل رئيسية إلى الأسد نفسه أن من شارك في إعادة السيطرة على الأرض السورية، وهي القوات الجوية الروسية، هي من تسيطر على القرار السياسي بشكل كامل في سوريا. ولذلك، لم يدافع بوتين، ولا مرة علناً، عن بشار الأسد، فهو يعرف أن تصرفاته السياسية لا يمكن الدفاع عنها. إنه يركز دوماً على سوء الاستغلال الغربي للقضية السورية، لكنه لا يجد مبرراً في الدفاع عن الأسد، أو حمل أخطائه على ظهره، وهذا ما يفتح باباً على أسئلة كثيرة، وفي وقتٍ يركز فيه النظام السوري على أن الأسد هو الرئيس مدى الحياة، وأنه الذي سيقود سوريا إلى النصر، ترتكز السياسة الروسية أكثر فأكثر على كيف يمكن إعادة تثبيت الأسد لمرحلة انتقالية، تستطيع فيها روسيا الحصول على عوائد ما بعد الحرب، ليس من سوريا الهزيلة والفقيرة، وإنما من الاتحاد الأوروبي، وإذا أمكن من الولايات المتحدة.

ربما أدرك بوتين ضعف الاهتمام الدولي اليوم بسوريا، واللاكترات واللامبالاة اللذين يتعامل فيهما المجتمع الدولي اليوم مع الدم السوري في إدلب وغيرها من مدن الشمال السوري، حيث لا معنى استراتيجياً لكل ما يحدث هناك، وإذا تم ترتيب الأمر مع تركيا التي ما زالت تعارض عملية عسكرية كبيرة في إدلب، فإنه يمكن قتل المئات، بل الآلاف هناك، في مقابل استعادة

إذلب لفرض سيادة الأسد عليها، فالولايات المتحدة ليس لديها موقف حازم ضد العملية، والاتحاد الأوروبي كعادته مشغول بقضايا الداخلية، و"بريكست" لا تنتهي، ولا سياسة خارجية له موحدة، يقدر على فرضها، فضلاً عن تنفيذها في سوريا لا اليوم ولا مستقبلاً. وهذا مما أحبط بوتين الذي توقع أن يُكافأ على أفعاله في سوريا، كما أحبط أردوغان من بعده الذي توقع أن يكافئه العالم على خياراته في بناء المنطقة الآمنة في سوريا، كسيناريو لإعادة اللاجئين. لقد اكتشف بوتين أن لا قيمة للاستقلال السوري لدى الأسد اليوم، بقدر أهمية تسميته رئيساً سورياً لكل سورياً مهما كان الثمن، والثمن هنا دماء مئات آلاف السوريين، وتدمير مدنهم وقراهم، ولا مستقبل لإعادة إعمار سوريا من كل هذا الدمار، خصوصاً في ضوء ما اكتشفه من لامبالاة المجتمع الدولي مما يجري في سوريا.

لقد عبر المبعوث الدولي الجديد في تقريره إلى مجلس الأمن عن تشاؤمه حيال جهود تعديل الدستور في سوريا، بشكلٍ يتعارض تماماً مع تصريحاته المتفائلة الشهر الفائت، فقد قال مبعوث الأمم المتحدة، غير بيدرسون، في حديث عبر الفيديو لمجلس الأمن "لا أرى سبباً لعقد اجتماع آخر للمجموعة المصغرة"، وأعرب عن "إحباطه الشديد" إزاء عدم إحراز تقدمٍ، مضيفاً أن "اللجنة الدستورية هشة وستظل كذلك". ولم يكتشف بيدرسون اختراع العجلة. الكل يعرف أن مصير اللجنة الدستورية سينتهي كذلك، فنظام الأسد لم يُبدِ أية رغبة بالتفاوضات، عندما كان في ظروف أصعب بكثير في عامي 2014 و2015، فكيف له أن يقدم التنازلات اليوم، وهو يشعر بنشوة النصر.

وعليه، يعود السؤال مجدداً، منذ أول فيتو روسي استخدمه بوتين في مجلس الأمن لحماية نظام بشار الأسد في أغسطس/آب 2011: ماذا يريد حقاً بوتين من سوريا؟ أجاب وهو يتمشى في شوارع دمشق أنه فخور بعودته الحياة الآمنة إلى شوارعها، لكنه لم يجب عما إذا كان هذا الأمان يخفي خلفه الفقر والجوع والتشريد والنزوح، وهي كلها لا قيمة لها بنظر بوتين الذي يهتم بالصورة فقط، وما دامت صورته ترفع في دمشق فوق صورة الأسد، فلا قيمة لكل من يرفعها أو يمجّدها.

المصادر:

العربي الجديد